قراءة في كتاب

عن الإرهاب الغربيّ
من هيروشيما إلى حرب الطّائرات بدون طيّار[1]
"نعوم تشومسكي" و "أندريه فلتشيك"

■ لينا السّقر[2]

ملخّص

تناولت هذه القراءة العامّة لكتاب "عن الإرهاب الغربيّ من هيروشيما إلى حرب الطّائرات بدون طيّار"، أهمّ النّقاط الواردة عن التّاريخ الأمريكيّ، منذ بداياته وحتّى إجراء الحوار الأساس، الّذي دار الكتاب حوله. هذا الحوار يدور بين شخصيّتين فاعلتين ومؤثّرتين، المفكّر والنّاقد الأمريكيّ اليهوديّ (نعومي تشومسكيّ)، والمحلّل السّياسيّ والمحقّق الصّحفيّ (أندريه فلتشيك). حوار ناقد بامتياز، يحاولان فيه كشف بعض الأسرار والمعلومات، عن إمبراطوريّة الولايات المتّحدة الأمريكيّة وأوروبا. أهمّ ما توصّل إليه نقاشهما، هو أنّ القوّة الأمريكيّة لم تَعُد كما كانت، ربما تستمرّ بسياساتها الإجراميّة، لكن بطرق جديدة ومختلفة، أكثر تطوّرًا وتقنيّة بكافّة النّواحي.

الكلمات المفتاحية: نعومي تشومسكي - أندريه فلتشيك - الإمبراطوريّة - الاستعمار - جنوب شرق آسيا - أمريكيا اللاّتينيّة - الرّبيع العربيّ - الشّيوعيّة.

1 - On Western Terrorism - From Hiroshima to Drone Warfare.

2 - باحثة ومترجمة-سورية.

المقدّمة

منذ قيام الولايات المتّحدة الأمريكيَّة ونشأتها، تسعى لتحقيق حلمها -بكافة الوسائل-، في السَّيطرة وتحقيق الثّروة اللامحدوديتين. لكنّ حلمها هو كابوس تعيشه الدّول والكيانات الأخرى. فهي لا توفّر وسيلة شرعيّة أو غير شرعيّة لتصل إلى مآربها، وربّما يعجز العالم عن مواجهة هذا الجبروت الظّالم. تسيطر الولايات المتّحدة الأمريكيَّة على المنظّمات والهيّئات الدّوليّة، وتوجّه سَنّ التّشريعات والقوانين لصالحها. رغم ذلك تتجاوز بجرائمها، وأفعالها، واغتصابها الأرواح، وسرقتها الأموال من العزّل كلَّ القوانين والأعراف الدّوليّة، حتّى تلك الّتي أصدرتها هي بنفسها. هذا الكتاب يظهر لنا، لأيّ مدى يصل التّدخُّل والعدوان الأمريكيّ حول العالم؛ حيث تحدّث المؤلّفان عن تفاصيل وأحداث، لا يمكن لأحد تخيّلها أو كشفها، عن السّياسة والجرائم الّتي يرتكبها الغرب عمومًا، والولايات المتّحدة خصوصًا. تحدّثا عن حالة عالم بأسره، فمن الضّروري العمل على كشف هذا الكيان على حقيقته وتفسير أفعاله. من ناحيّة ثانية، سنجد أنّه بعد تحليل العديد من الصّراعات والغزوات والحروب الفظيعة في جميع القارات، تتولّد القناعة بأنّ كلّ هذه الصّراعات تقريبًا، كانت مدبّرة أو مستفزّة من قبل المصالح الجيوسياسيّة والاقتصاديّة الغربيّة. وكانت المعلومات حول تلك الأحداث القاتلة، وعن مصير البشر الّذين قامت الإمبراطوريّات الاستعماريّة بإبادتهم، والتّضحيّة بهم دون تفكير يُذكر، محدودة ومشوّهة بشكل غريب.

بطاقة الكتاب:

عنوان الكتاب: الإرهاب الغربيّ من هيروشيما إلى حرب الطّائرات بدون طيار.
(Western Terrorism from Hiroshima to Drone Warfare)

مؤلّفو الكتاب: نعوم تشومسكي وأندريه فلتشيك.

دار النّشر: بلوتو برس.

سنة النّشر: عام 2013م.

عدد الصّفحات: 209.

اللّغة الأصليّة للكتاب: اللّغة الانكليزيّة.

للكتاب نسخة مترجمة للّغة العربيّة.

أولاً: حول الكاتب والكتاب

(نعومي تشومسكي) مفكّر أمريكيّ يهوديّ، وأستاذ جامعيّ في معهد "ماساتشوتش" للتّكنولوجيا، مولّف كتاب الإرهاب الغربيّ من "هيروشيما" إلى حرب الطّائرات بدون طيّار[1]، مع زميله (أندريه فلتشيك)، المحلّل السّياسيّ والمحقّق الصّحفي وصاحب الأفلام الوثائقيّة العديدة. (شومسكي) معروف كناشط سياسيّ، ينتقد السّياسات الخارجيَّة للولايات المتّحدة الأمريكيَّة، والحكومات الغربيّة الأخرى. حاول رصد تلك السّياسات ومتابعتها، وتبيان أثرها على الأوضاع الدَّاخلية والعالم. سيظهر في قراءتنا لهذا الكتاب أنّه عبارة عن حوار ودردشة مشوّقة بين (تشومسكي) وزميله (فلتشيك). هذا الحوار استمرّ ليومين في مدينة "بوسطن" ولاحقًا أصبح مادّة دسمة ليكون فيلمًا وثائقيًّا. كان محور الحوار بينهما، هو قضيّة قوّة الغرب الاستعماريّ، وماكينته الإعلاميّة بشكل خاصّ، منذ فترة الأربعينات حتّى يومنا هذا. تحاورا بطريقة فكريّة ممتعة، شملت الحركة الاستعماريّة منذ نشأتها، ثمّ انطلاقها شرقًا وغربًا وجنوبًا؛ من أفريقيا إلى شمال شرق آسيا، ثمّ قارتيّ أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبيّة. تطرّقا للحديث عمّا آل إليه الحال بعد سقوط الاتّحاد السّوفياتيّ، والمغامرات العسكريّة في الشّرق الأوسط، الّتي جلبت الدّمار والخراب والموت، منذ بداية احتلالهم تلك المناطق، لغاية سماع أزيز طائراتهم المسيّرة في سماوات العالم النّائية والقريبة.

عن هذا الكتاب يقول (نُعَوم تشومسكي): "لقد تغيّر الشّرق الأوسط كثيرًا، منذ ظهور الطّبعة الأولى لهذا الكتاب عام 2013م. لم تظهر بعد منظّمة داعش الإرهابيّة، الّتي تُعتبر تحصيل حاصل لغزو العراق. لم يتحوّل الرّبيع العربيّ بعد، إلى كابوس للدّكتاتوريّة العسكريّة في مصر، واتّساع رقعة الكارثة السّورية. وبشكل أكثر دقّة، لم تصل "أزمة الهجرة"، الّتي تُعتبرَ أزمة أخلاقيَّة للغرب، إلى درجة صادمة كما وصلت إليها الآن. كما ظهرت معالم تطوّرات أخرى جارية في أماكن مختلفة من العالم، لا مجال لمراجعتها كاملة، لكنّها جميعًا هي مغزى الطّروحات، الّتي يأتي عليها هذا الكتاب".

ثانياً: في الكتاب

يضمّ الكتاب تسعة فصول متنوّعة، وملحق بالجدول الزّمني لتاريخ حروب الولايات المتّحدة الأمريكيَّة، والاتّفاقات العالمية، بالإضافة إلى فهرس نهائيّ.

1 - Western Terrorism from Hiroshima to Drone Warfare.

■ الفصل الأوّل: الإرث القاتل للاستعمار

تحدّث (أندريه فلتشيك) عن نتيجة الاستعمار الغربيّ، والاستعمار الجديد منذ نهاية الحرب العالميَّة الثَّانية، مبيّنًا أنّه مات ما يقارب 55 مليون شخص حول العالم. وهذه الفترة القصيرة نسبيًّا شـهدت أكبر عدد من المجازر في تاريخ البشريّة، وأغلبها حدثت باسم الشّعارات السّامية مثل الحريّـة والدّيمقراطيّة. اعتُبِرت هذه المجازر وعمليّات القتل والذّبح بحقّ الملايين، أمرٌ لا مفرّ منه، وحتّى مبرّر. قال (فلتشـيك) أيضًا إنّه شـهد اختفاء عدّة دول في أوقيانوسيا، كان مقيمًا في "ساموا" لسنوات. بعض البلدان فكّرت بإجلاء سكّانها لأنّها غير صالحة للسّكن ومعرّضة للغرق، لكـن في الواقع البلدان غير معرّضة للغرق، إنّما تتعرّض فقط لموجات مدّ. المثير للدّهشـة في "توفالو" أنّه لم يكن هناك أيّ صحافة أجنبيّة. كانت هذه واحدة من أكثر البلدان تضرّرًا، يمكن أن تختفي قريبًاعن وجه الأرض، مع ارتفاع منسوب سطح البحر، ولم تكن هناك أيّة تغطيّة صحفيّة عـلى الإطلاق!. هذا هو الحال عـبر التّاريخ، في جميع أنحاء العالم، في الأماكن الّتي تسـيطر عليها الإمبراطوريّات الاسـتعماريّة الأوروبيّة. وأضاف (فلتشيك) إنّ أوّل معسكرات الاعتقال، ليسـت على يد ألمانيا النّازية، بل على يد بريطانيا، في كينيا وجنـوب أفريقيا، وبالطّبع المحرقة الّتي قام بها الألمان ضدّ اليهود والغجر الأوروبيّين لم تكن الأولى، لقد شاركوا في مذابحَ رهيبة في جميع أنحاء العالم. ربمّا بعد الحرب العالميَّة الثَّانية، وبسبب الخوف الّذي زرعه الاستعمار الأوروبيّ في نفوس السّـكّان المحليّين، لم يتجرّؤوا على توجيه أصابع الاتّهام للعدوّ الحقيقيّ. صرّح (فلتشيك) إنّ أعداد الضّحايا في "رواندا" أعلى ممّاذكره (تشومسكي)، فقد تراوحت من ستّة إلى عشرة ملايين شخص قتلوا في الكونغو، وهو ما يعادل تقريباً عدد الّذين قتلوا، في بداية القرن العشرين على يد ملك بلجيكا (ليوبولد الثَّاني). على الرّغم من أنّ "رواندا" و"أوغندا" ووكلاءهما، هم الّذين يقتلون الملايين من الأبرياء، إنّما وراء ذلك دائمًا المصالح الجيوسياسـيّة والاقتصاديّة الغربيّة. أمّا القصّة الحقيقيّة، حسـب (فيتشـك)، والإبـادة الجماعيّة الّتي ارتكبها الغرب، ضدّ شـعوب جنوب شرق آسـيا، فيتنام ولاوس وكمبوديا، تمّ كَتْمُها أو حذفهـا بالكامل، حيث قُتل الملايين بـلا رحمة. وحتّى اليـوم، تنفجر رؤوس الأبقار، لأنّها تمضغ الحجـارة، وتعضّ القنابل الّتي لا تزال منتشرة في كلّ مكان. لا يزال هذا يحدث للنّاس والنّسـاء والأطفال. حدث أيضًا ما يشبه ما حدث في حكم (ليوبولد الثَّاني)، عندما مات أيضًا حوالي عشرة ملايين شـخص. كان القانون،

إذا لم يكن الأداء جيّدًا في مزارع المطاط، فستقطع يديك، وستحرق النّاس أحياء في أكواخهم. لقد كان ذلك تحذيرًا عظيمًا للعالم، يُنْذِر بما يمكن أن تفعله الأنظمة الملكيّة الدّستوريّة الغربيّة، والدّيمقراطيّات المتعدّدة الأحزاب.

وبالطّبع حدث ذلك بعيدًا عن الإعلام، حدث في الظّلام. لذا فقد قتل البلجيكيّون من النّاس في أفريقيا، عددًا أكبر من عدد سكان بلدهم آنذاك. من ناحيّة ثانية، ذكر (فلتشيك) اصطدامه مع أصدقائه الفرنسيّين، عند الحديث عن الاستعمار الفرنسيّ. فهم معجبون جدًّا بالجنرال (ديغول)، حتّى من قِبَل يسار الوسط، ويعتقدون أنّ فرنسا لم تكن أبدًا مستعمرًا سيّئًا مثل الآخرين. وكأنّ أفريقيا، أو الهند الصّينيّة، أو منطقة البحر الكاريبيّ، لم تكن موجودة على الإطلاق. قام الفرنسيّون في بعض الأماكن بذبح جميع السّكّان الأصليّين، كما هو الحال في جزيرة "غرينادا".

من النّاحيّة الإعلاميّة، اعتقد (فيتشك) أنّ قلّة المعرفة، وقلّة الاهتمام بكلّ ما ذُكِر، أمرٌ مُخْزٍ وفاضحٌ للغاية. رغم تطوّر وسائل الإعلام الغربيّ، لكن ضُلِّل الجمهور بمعلومات غير صحيحة. ورغم تقدّم بلدان الغرب وعلمهم المتطوّر؛ لكن هناك جهل ساذج بتاريخهم، لأنّ حكوماتهم تريد ذلك.

في حين ذكر (نعومي تشومسكي) أنّه ولسوء الحظّ، هناك منافسة شرسة حول ما هي أعظم جريمة ارتكبها الغرب. بعد وصول «كولومبوس» لنصف الكرة الغربيّ، كان هناك حضارات متقدّمة تضمّ ما يقارب 100 مليون نسمة. لكن لم يمضِ وقت طويل حتّى اختفى حوالي 95% من هؤلاء السّكّان. فضلاً عن ملايين الأطفال الّذين ماتوا، بسبب أمراض قابلة للعلاج في مناطق من العالم، مثل جنوب إفريقيا ورواندا. والأمور تتّجه نحو إبادة جماعيّة بسبب تدمير البيئة، ونتيجةً للتّقنيّات الأمريكيَّة المتطوّرة، بمجال استخراج الوقود الإحفوريّ ربمّا تهيمن أمريكا على العالم لقرن آخر. وقال (تشومسكي): "إنّ الدّول النّاطقة باللّغة الانكليزيّة، مثل الولايات المتّحدة وكندا وأستراليا، مجتمعات إمبراطوريّة غير عاديّة، فهي لم تحكم السّكّان الأصليّين فحسب، بل قضت عليهم، واستولت على أراضيهم ومستوطناتهم، وأبادتهم فعليًّا في معظم الحالات. حتّى في حالة المَحْرَقة، عُومِل الغجر بنفس الطّريقة الّتي عُومِل بها اليهود، لكن هذا لم يذكر حقًّا. كما أنّ اضطهاد الغجر ليس معترفًا به عمومًا اليوم".

أضاف (تشومسكي) أنّه ارتُكِبت أسوأ الفظائع في العالم شرق الكونغو. ربمّا قُتل ثلاثة إلى

خمسة ملايين شخص. إلى من يوجّه الاتّهام؟! بالطّبع للميليشيّات، ميليشيات شركات وحكومات متعدّدة الجنسيّات، وهم غير مرئيّين. هذا يحدث بصورة غير مباشرة، لا نرى الشّركات المتعدّدة الجنسيّات، الّتي تستخدم الميليشيّات لذبح النّاس، لكن هناك الكثير من الفظائع والجرائم وبعضها مباشر تمامًا، كما حصل في فيتنام على سبيل المثال، أسوأ جريمة منذ الحرب العالميَّة الثَّانية، والّتي لا تزال آثارها الكيميائيَّة محسوسة حتّى الآن. من ناحيّة ثانية، تحدّث (تشومسكي) عن الطّبعة الأكثر شهرة من الموسوعة البريطانيّة، بحث فيها عن الملك (ليوبولد الثَّاني). كان هناك مدخلاً بالطّبع، حيث تحدّث عن الأشياء الرّائعة الّتي قام بها، وكيف بنى البلاد وما إلى ذلك. وفي النّهاية قال إنّه: "كان يعامل شعبه بقسوة أحيانًا". نعم، مثل قتل عشرة ملايين شخص، ولا يزال البلجيكيّون يعتبرونه بطلاً.

أمّا عن فرنسا والاحتلال والفرنسيّ للجزائر، أعدّ مجموعة من الفيزيائيّين الجزائريّين المغتربين، دراسة مفصّلة للغاية عن الفظائع الّتي ارتكبت في الجزائر، في التّسعينيّات على يد الفرنسيّين. وجهة نظرهم هي أنّ العديد من الفظائع الّتي نسبت إلى الإسلاميّين، قد نُفِّذت بالفعل بأزياء إسلاميّة مزيّفة. درسوا تفاصيل الأحداث، واحدة تلو الأخرى. المذبحة الرَّئيسيّة كانت مذبحة كبيرة في حيّ فقير، على بعد بضعة كيلومترات من قاعدة عسكريّة كبيرة، استمرّت ثلاثة أيّام دون أن يتدخّل أحد.

كلّ هذه الأحداث والمذابح لم تعرفها شعوبهم، بل وحتّى يحاولون إعادة تثقيف من تبقّى ممّن شهد ما حدث، بأنّ كلّ ذلك كان إيجابيًّا ولمصلحة الجميع. لا يسمحون بنشر دلائل أو كتب توثّق جرائمهم، ويمنعون الصّحفيّين من حضور مؤتمرات، تناقش آثار وتبعيّات جرائمهم وإباداتهم.

■ الفصل الثَّاني: إخفاء جرائم الغرب.

يقول (أندريه فلتيشك)، إنّه وفقًا للإحصائيّات الّتي حصل عليها مع فريقه، فإنّ عدد الأشخاص الّذين اختفوا بعد الحرب العالميَّة الثَّانية، نتيجة للاستعمار والاستعمار الجديد يتراوح بين 50 و55 مليون. العدد الدّقيق ربمّا لا يهمّ لأنّ الحجم عمومًا هائل للغاية، كيف استطاع الغرب الإفلات من هذه الجرائم؟! وكيف لا زال يقنع العالم أنّه مفوّض أخلاقيًّا؟! وله الحقّ في أن يملي على العالم، من خلال منظّماته ووسائل إعلامه قيَمه الخاصّة؟! وكيف حقّق ذلك؟ ذكر (فلتشيك) أيضًا أنّ أيّ دولة في العالم تتسبّب بالأذى، أو مقتل الكثير من الأشخاص، تصبح

عرضةً للدّعاية الغربيّة السّلبيّة والتجييش الإعلامي الهائل. لكن عندما يتعلّق الأمر بموت مئات الملايين، الّذين ذبحتهم القوى الاستعماريّة الغربيّة والاستعماريّة الجديدة، يكون مبرَّرًا وتحت ذرائع إنسانيّة، ثمّ يصبح الأمر قيد النّسيان.

تحدث (نعومي تشومسكي) في هذا الفصل، عن كتب وتقارير تتحدّث عن جرائم الشّيوعيّة، أو المجاعة في الصّين، ومقتل الأشخاص في الهند، لكن لن تجد من يتشجّع للحديث عن الأشخاص، الّذين كانوا متواجدين في نصف الكرة الغربيّ، واختفوا عندما اكتشفت أمريكا ذاك المكان. حتّى الجرائم الّتي حدثت في الحرب العالميَّة الثّانية، حاولت الولايات المتّحدة الأمريكيَّة محوها ومحو ذاكرتها. بالنّظر للمحاكم الدّولية، نجد أنّ الأشخاص الوحيدين الّذين وُجِّهت إليهم الاتهامات، هم في الغالب الأفارقة وأعداء الغرب، مثل (ميلوسيفيتش)[1]. لكن أَلَمْ ترتكب الولايات المتّحدة أيّة جرائم أخرى في السّنوات القليلة الماضية؟! على سبيل المثال غزو العراق. الولايات المتّحدة تتمتّع بحصانة ذاتيّة من أيّة ملاحقة قضائيّة. عندما انضمّت الولايات المتّحدة إلى المحكمة العالميَّة في عام 1946م، أنشأت بشكل أساسيّ محكمة العدل الدّوليّة الحديثة، والّتي انضمّت إليها، ولكن مع التّحفظ الّذي ينصّ، على أنّه لا يمكن محاكمة الولايات المتّحدة، بموجب أيّة معاهدة دوليّة، أيْ ميثاق الأمم المتّحدة، وميثاق منظمّة الدّول الأمريكيَّة، واتّفاقيات جنيف.

تتمتّع الولايات المتّحدة بحصانة ذاتيّة، ضدّ أيّة محاكمة بشأن هذه القضايا. وقد قبلت المحكمة ذلك. لذلك -على سبيل المثال- عندما رفعت "نيكاراغوا" قضيّة ضدّ الولايات المتّحدة في المحكمة العالميَّة، بسبب الهجمات الإرهابيّة ضدّها، رُفِضت القضيّة لأنّها استندت إلى ميثاق منظّمة الدّول الأمريكيَّة، الّذي يمنع التّدخُّلات بقوّة، والولايات المتّحدة لا تخضع لذلك وقبلته المحكمة. رفعت يوغسلافيا إلى محكمة العدل الدّوليّة قضيّة ضدّ النّاتو بتُهمة القصف، استبعدت الولايات المتّحدة نفسها من القضيّة، ووافقت المحكمة على ذلك، لأنّ إحدى التّهم المذكورة هي أنّها إبادة جماعيّة. عندما وقّعت الولايات المتّحدة على اتّفاقية الإبادة الجماعيّة، كان لديها تحفّظ قائلة إنّها: "غير قابلة للتّطبيق على الولايات المتّحدة"، وبالتّالي فإنّ المحكمة أعفت الولايات المتّحدة بالفعل من الملاحقة القضائيّة. هناك حواجز قانونيّة يتمّ وضعها فعليًّا، في حالة تجرؤ أيّ شخص على محاولة توجيه بعض التّهم ضدّ الأقوياء.

1 - سلوبودان ميلوسيفيتش: سياسيّ يوغوسلافيّ وصربيّ راحل وكان رئيس صربيا.

■ الفصل الثّالث: الدّعاية والإعلام.

يقول (أندريه فلتشيك) هنا إنّه عندما يكون في الصّين، يتحدّث دون خوف ودون رقابة، ويتمّ نشر كلّ ما يقوله دون حذف. كان يقول للصّينيّين ينبغي عليهم أن يحذوا حذو أمريكا اللاّتينيّة، ويعودوا إلى الشّيوعيّة دون أمتعة الثّورة الثّقافيّة. وكذلك الأمر في إيران الإسلاميَّة تحدّثَ دون أيّ إزعاج، هذا الوضع وهذه الحرّيّة لم يشعر بها في بريطانيا. وأكّد (فلتشيك) مجدّدًا، أنّ الأمر الصّادم هو الحديث بحرّيّة في الصّين وإيران وتركيا، بينما لا يمكن ذلك في بلاد الغرب. الصّحف ووسائل الإعلام الصّينيّة، تنتقد حكومتها بوضوح دون خوف، أمّا في الغرب فلا يمكن لوكالات الأنباء والمحطّات التّلفزيونيّة، أن تقوم بذلك. وذكر أنّه حين تتمّ دعوته لمشاركة الحوار عبر الأقمار الصّناعيّة، في ندوة عن الصّين مثلاً، يُطلب منه أنّ يصرّح بما يقوله قبل الحديث على الهواء مباشرةً، وإلاّ لن يُسمح له بالحديث، في حين تكون النّدوة الحواريّة باتجاه واحد دون قبول الطّرف الآخر. محطّة BBC لم تسمح لـ(فلتشيك) بالحديث عن الاستعمار البريطانيّ وقتل السّكّان المحليّين، وقال لهم حينها كأنّهم يطلبون احترام المملكة المتّحدة، بعد قتل الكثيرين في العراق وأفغانستان. وأضاف إنّ الدّعاية الإعلاميّة الغربيّة، ناجحة بإخفاء تاريخها ودعم حاضرها وأهدافها، أمّا الدّعاية الصّينيّة والرّوسيّة لم تتمكّن من دعم ماضيها، والدِّفاع عنه رغم كلّ التّطوّر، والتّقدّم، والإنجازات الهائلة في العقود السّابقة. برأي (فلتيشك) إنّ الدّعاية الغربيّة قادرة على تعبئة الجماهير، لأيّة غاية أو هدف في أيّ مكان بالعالم. ومهما كانت الأسباب، يمكن أن تؤدّي إلى انقلابات وصراعات، وأعمال عنف فظيعة، والسّعي من أجل التّغيير. يمكنها أن تصف البلد الكبير الأكثر سلامًا على وجه الأرض، بأنّه الأكثر عنفًا، ويمكن أن تصفها بالمهدّد الحقيقيّ للسّلام العالميّ، ويمكنها أن تُظهر مجموعة من الدّول الغربية، الّتي ظلّت لقرون عديدة ترهب العالم، بأنّها المدافع الحقيقيّ عن السَّلام والدّيمقراطيّة، كلّ النّاس في الغرب تقريبًا يصدّقون ذلك، ومعظم النّاس في العالم يصدّقون ذلك، لأنّ الدّعاية الغربيّة مثاليّة ومتقدّمة للغاية. بطبيعة الحال، ليست الصّين، وفنزويلا، وروسيا، وإيران، وبوليفيا، وكوبا، وزيمبابوي، وإريتريا الضّحايا الوحيدين لهذا الوضع. وأيّة دولة تقف في طريق المصالح الغربيّة، تصبح هدفًا مشروعًا لدعاياتهم المتقدّمة. أمّا بالنّسبة لما حدث في العراق، فقد أكّد (فلتشيك)، أنّ الإشعاع القاتل انتشر في جميع أنحاء العراق. لقد وصل الأمر إلى مستويات لا تصدق.

من جهته أكّد (نعومي تشومسكي) على موضوع حرّيّة الكلام في الصّين، وترجمة ما يقال بحرفية دون أيّ اقتطاع. ذكر أيضًا أنّه حتّى في إيران تحدّث بحرّيّة دون اجتزاء لكلامه. اللّافت للنّظر ما قاله (تشومسكي) عن سياسة القنوات الإعلاميّة الإنكليزيّة، وهي الإيجاز. أيّ يمكن للضّيف أن يتحدّث عن أيّ موضوع بجملتين أو ثلاث ليس أكثر، لأنّ الإعلانات مُهمّة. لذلك عند الحديث عن الصّين مثلاً، لا يمكن القول إلّا أنّ الصّين دولة شموليّة، لا يُمنَح الضّيف الوقت الكافي، ليتحدّث أكثر عن هـذا الموضوع. وإذا أراد أن يتحدّث عن موضوع إرهاب الولايات المتّحدة، لن يُمنع من الكلام، لكن تتـمّ مقاطعته لبثّ الإعلانات، فيبدو حديثه ركيكًا وغير مترابط، لأنّه ليس بالإمكان مناقشـة موضوع هامّ كهذا، لمدّة نصف ساعة متواصلة. حركةٌ مقصودة مغطّاة بالدّيمقراطيّة.

عندمـا ذهب (نعومـي تشومسـكي) إلى "لاوس" 1970م، حظيَ بلقاء عدد مـن الصّحفيّين المتواجدين هناك لتغطية خطاب (نيكسـون) حول كيفية تقارب الدّبابات الفيتناميّة الشّماليّة في "فينتيان". التقى أيضًا بالكثير من النّازحين في مخيّمات اللّاجئين ليسـمع القصص الفظيعة عن مهـولات الحرب الأمريكيَّـة. هذه هي المرة الأولى الّتي تمكّن فيهـا من الحصول على قصص مباشرة عـمّا حدث هناك. هؤلاء النّاس عاشـوا في الكهوف لمدّة طويلـة. كانت هناك قصص فظيعة. كانت أمريكا تقصف الأنفاق والكهوف الّتي لجأ إليها المدنيّين للاختباء. هذه القصص وغيرها لم تكن لتعرف وتنشر لأنّ الصّحافة ممنوعة من الوصول إلّا بتنسيق أمريكيّ شديد. قال (تشومسكي) أنه ليحصل على التّقارير الصّحيحة ذهب للسّفارة الأمريكيَّة وطلب مقابلة مسؤول أمريكيّ لرؤيتها، كلّ ما اسـتطاع معرفته، هو تقرير عن كتيبة تضمّ جنودًا فيتناميّين شـماليّين فيها رادار أمريكيّ، كانت تستخدم لعمليّات القصف على فيتنام.

أمّا عندما غزت الولايات المتّحدة الأمريكيَّة أفغانسـتان، ذكر (تشومسكي) أنّ أمريكا لم تكن تسـمح لصحفيي الميدان بالاقتراب من مناطق الاقتتال، فقط الوصول لإسـلام أباد، وأيّ تفجير يحدث بالقرب منهم، كان التَّبرير الأمريكيّ بأنّه بالخطأ، والحال نفسـه يحدث في الضّفة الغربيّة وأمريكا الوسـطى. وكسياسـة أمريكيّـة معروفة، أوّل ما كانـت تغزو أيّ بلد، تقـوم بقصف برج التّلفزيون، أو السَّـيطرة على أيّ مـكان يقدّم معلومات وأرقام عن ضحاياهـم، مثلاً عندما غزت الولايات المتّحـدة العراق، أوّل ما فعلته قوات المارينز عندما اقتحمت الفلّوجة، هو الاسـتيلاء على المستشفى العامّ، وأفاد الجيش الأمريكيّ أنّ المستشفى كان مثل وكالة إعلام، لأنّه كان يوزّع

أرقـام الضّحايا، وبالتّالي يعتبر من حقّه تحطيمه. وتفيد التّقارير الآن أنّ مسـتويات الإشـعاع في الفلّوجة، هي مستويات الإشعاع نفسها في هيروشيما تقريبًا؛ أيًّا كانت الأسلحة الّتي استخدموها، فقد خلّفت أضرارًا جسيمة للغاية.

■ الفصل الرّابع: الكتلة السّوفيتيّة.

بدأ (أندريه فلتشيك) الحديث عن زيارة له، إلى متحف "الذّاكرة وحقوق الإنسان" الضّخم في "سانتياغو دي تشيلي" في الأرجنتين، والّذي يعرض كلّ الفظائع الّتي ارتكبت في تشيلي، وكذلك في بلدان أمريكا اللاّتينية الأخرى. فضلاً عن ذلك، تحدّث عن أعمال تصوّر تعذيب المسلمين، في سجن أبو غريب في بغداد على يد الجنود الأمريكيّين، إذ عبّر عنها قائلاً: "لقد كانت قويّة جدًّا! وأمر جيّد أن يُظْهِر متحف في الغرب التّضامن مع شعب عربيّ، لا يمكن حتّى أن تتخيّل شيئًا كهذا في أوروبا الشّرقيّة". ثمّ اتّجه للمقارنة بشكل غير مباشر، بين ما ترتكبه الولايات المتّحدة الأمريكيّة ودول الغـرب الموالـيّـة لها، وبين ما حدث عندما غزت روسـيا "براغ". ذكر (فلتشـيك) أنّ عدد الضّحايـا قليل جدًّا، ولم تحدث مجازر، أو أيّـة عمليّات اغتصاب، أو تعذيب، وبقيت الحدود مفتوحة لعدّة أشـهر. الأوروبيّون الشّرقيّون يدعمون كافّة حركات النّضال، من أجل التّحرير في جميع أنحاء العـالم؛ كانوا يدعمون فيتنام خـلال الحرب الأمريكيّة. كانوا يسـاعدون عشرات الملايين في أفريقيا والشّرق الأوسـط وفي كلّ مكان. كان لـدى الرّوس دور نشر ضخمة تطبع الكتـب بلغاتهم الخاصّة، لأفقر الأمم على وجه الأرض. لا يمكن ذكر كلّ ما فعلته تلك البلدان للعالم، رغم ذلك اسـتطاعت الدّعاية الغربيّة أن تجعل العالم يصـدق أنّها «إمبراطوريّة الشّرّ». لقد كافح السّـوفيتيّين ضدّ الإمبرياليّة والعنصريّـة والتّمييز، وكانت أهداف الاتّحاد السّـوفيتيّ سامية وبعضها مثير للإعجاب للغاية، كإعطاءالحرّيّة لجميع الأجزاء الفقيرة في العالم، ومكافحة الاستعمار، ومعاداة الإمبرياليّة، والعدالة الاجتماعيّة.

من جهته قال (نعومي تشومسكي)، إنّه في تلك الحرب كان العلماء محميّين وغير مستهدفين، وتقدّم لهم عروض لحمايتهم، على عكس الولايات المتّحدة الّتي تستهدفهم مع عائلاتهم. ذكر أنّ القمع كان معتدلاً مقارنةً بأمريكا اللاّتينيّة. الأمر اللاّفت للنّظر أنّ الاتّحاد السّوفيتيّ، قام بالفعل بدعـم أوروبا الشّرقيّة، بحيث انتهى بهـا الأمر إلى أن تكون أكثر ثراءً من روسـيا. الإمبراطوريّة

السّوفيتيّة هي الإمبراطوريّة الوحيدة في التّاريخ، الّتي كان مركزها أفقر من المستعمرات. تحدّث (تشومسكي) أيضًا عن السّياسة السّوفيتية في البلدان الّتي غزتها. حيث ذكر ناشطة نسويّة دوليّة معروفة، كانت واحدة من النّساء اللّاتي نظمْنَ يوم المرأة العالميّ، كتبت مقالتين عن وضع المرأة في "كابول" تحت حكم الرّوس، كانت الصّورة إيجابية للغاية. وقالت: "إنّ المشكلة الحقيقيّة الوحيدة الّتي واجهوها هي حكم تيّار، وبقيّة المتطرّفين الإسلاميّين المدعومين من الولايات المتّحدة، الّذين كانوا يلقون الحمض على وجوههن. لكن بخلاف ذلك، كنّ أحرارًا. لقد ارتدين ما يحلو لهن، وذهبْنَ إلى الكليّة وأتيحت لهنّ الفرص، كما الرّجال". لقد أرسلت المقال إلى صحيفة "واشنطن بوست"، لكن الصّحيفة رفضت طباعته. ومن ثمّ، الأمر الأكثر إثارة للعجب، أنها أرسلته إلى المجلّة النّسويّة الكبرى في الولايات المتّحدة وهم كذلك رفضوا طباعته. وأخيرًا تمّت طباعته في صحيفة "آسيا تايمز".

■ الفصل الخامس: الهند والصّين

في بداية هذا الفصل، وجّه (فلتشيك) سؤالاً لـ (تشومسكي): عن بثّ الكمّ الهائل من الدّعاية المستمرّ والمناهض للصّين، في كافّة وسائل الإعلام الغربيّة الرّئيسيّة تقريباً، وتمجيد ما يسمّى "الدّيمقراطيّة الهنديّة"؟!.

ردّ (تشومسكي) أنّه في الهند الرّأسماليّة الدّيمقراطيّة وحدها، مات 100 مليون شخص مقارنة بالصّين في ظلّ الشّيوعيّة. ورغم وجود مجاعات مروّعة في الهند تحت الحكم البريطانيّ -حتّى أوائل الأربعينيّات من القرن الماضي-، إلّا أنّه بعد الاستقلال لم تعد هناك مجاعات، لأنّه كان نظامًا أكثر ديمقراطيّة. الهند دولة فظيعة في العديد من النّواحي.

وبالعودة للحوار، ذكر (فلتشيك) أنّ الهند توصَف بأنّها دولة ذات إمكانات هائلة، لكنّها لا تزال تعيش في العصور الوسطى بطرق عديدة. لن ينتقد الإعلام في الغرب النّظام الهنديّ، لأنه مزيج فظيع من الإقطاع والرّأسمالية، مع مشاعر تاريخيّة مناهضة للصّين. وفي ظلّ النّظام الطّبقي المروّع، وفي ظلّ النّظام الإقطاعيّ الّذي يفصل مئات الملايين من البشر، تعيش الهند نفسها في ظلّ نظام فصل عنصريّ رهيب. فمن ناحية، لديهم علماء وكتّاب وفلاسفة عظماء، ومن ناحيّة أخرى، هذه ليست سوى نسبة صغيرة جدًّا من النّاس، والباقي يعيشون

في بيئة إقطاعيّة تمامًا. الهند واحدة من أفضل الأماكن الّتي يمكنك العيش فيها، إذا كنت غنيًّا أو من الطّبقة العليا -والأفضل من ذلك كلاهما-، لكن إذا كنت فقيراً، أو حتّى تنتمي إلى ما يسمّونه الطّبقة المتوسّطة النّاشئة، فالحياة جحيم. الهند والصّين أكبر دولتين من حيث عدد السّكّان على وجه الأرض، بثقافتين ونظامين مختلفين. تعمل الدّعاية الغربيّة باستمرار، على تمجيد الهند وتشويه سمعة الصّين. مثلاً، صفحات الصّحف لا تنسى ما يسمّى بقضية «التّيبت»، في حين لا يتمّ ذكر قضيّة «كشمير» إلّا نادراً. لا توجد مقارنة بين مستوى الوحشيّة في «التيبت وكشمير».

مستوى العنف والكراهيّة والقسوة الّذي وقع في بعض الأماكن لا يمكن تصوّره، قتل، ونهب، واغتصاب، ومهاجمة الرّعاع منازل المسلمين، وتقطيع بطون النّساء الحوامل، الهند بلد عنيف للغاية. لكنّ الغرب يصفها بأنّها مسالمة ومتسامحة، طالما أنّها تعمل كحاجز ضدّ الصّين، وطالما أنّها تنهب الموارد الطّبيعيّة نيابة عن الشّركات الخاصّة الغربيّة، وطالما أنّها على استعداد لدعم الرّأسماليّة الوحشيّة. أمّا الصّين فهي مكان رائع، ونموذج مثير للاهتمام، ويسير على نحوٍ جيّد. نجحت الصّين في انتشال مئات الملايين من البشر من براثن الفقر، لكن الدّعاية في الغرب تقدّم الصّين على أنّها دولة رأسماليّة جدًّا. وهذا تصوّر غير صحيح، إذ خصّصت الصّين أموالاً ضخمة وخططًا كبيرة لتنميتها الاجتماعيّة؛ فالوضع في الصّين متفوّق جدًّا، هناك مشاريع هائلة لوسائل النّقل العامّ، والكثير منها صديقة للبيئة للغاية، كمترو الأنفاق، القطارات السّريعة، الحدائق العامّة، الأرصفة، الطّبّ الوقائيّ، كل هذا مذهل.

أمّا (نعومي تشومسكي)، ومن خلال زيارته لبعض الأماكن في الهند، قال: "إنّ الهند بلد ضخم ومعقّد، والشيء الوحيد الّذي يلفت الانتباه، أثناء السّفر في جميع أنحاء البلاد، هو الاختلاف في الحالة المزاجيّة. الهند بلد مثير للغاية، حقّق العديد من الإنجازات الرّائعة، لكنّه أحد أكثر البلدان إحباطًا على الإطلاق. إن الفقر والبؤس واضحان للغاية". أمّا بالنسبة لزيارته للصّين، لم يرَ ذلك النّوع من الفقر البائس، الّذي نشعر به فورًا كلّما ذهبنا إلى إحدى دول العالم الثّالث. في الغالب حتّى الطّلّاب الجامعيّين، متحمّسون جدًّا للمستقبل والفرص، فهم لا يحبّون القيود، يشعرون بالتّفاؤل والحماس. هذه هي الطّريقة، الّتي يتمّ بها الحكم على الصّين في أوروبا والولايات المتّحدة، وهي طريقة متعجرفة ومتعاليّة تمامًا.

■ الفصل السّادس: أمريكا اللّاتينيّة

دار الحديث في هذا الفصل عن دول أمريكا اللّاتينيّة. ذكر (فلتشيك) أنّ الانتصارات الأخيرة، الّتي حقّقتها الحكومات التّقدميّة هناك مُذهِلة، حيث سقطت الحكومات الفاشيّة الموالية للغرب الواحدة تلو الأخرى. كلّها تسير على خطى فنزويلا. القارّة تنهض إلى حدّ ما، تهتمّ تلك الدّول بشعوبها أكثر من اهتمامها بالبنوك والشّركات الدّوليّة، وهذا مناقضٌ تمامًا للقاعدة الّتي كانت سائدة قبل عقدين من الزّمن فقط، وهناك أيضًا شعور متزايد بالتّضامن. لكن في بعض الدّول كالسّلفادور، لا زالت الحكومة مقيّدة لأنّ الولايات المتّحدة، غير راغبة في تحمّل أيّة مسؤوليّة عن الماضي، فهي لا تدفع أيّة تعويضات، ولا تزال هناك أعمال عنف مروّعة، نتيجة الدّعم الأمريكيّ لفرق الموت، الّتي كانت تقاتل المتمرّدين اليساريّين خلال الحرب. إنّ أعمال العنف في السّلفادور اليوم مروّعة. ورغم وجود بعض القوى التّقدميّة، وحتّى الحكومات التّقدميّة في العديد من بلدان أمريكا اللّاتينيّة، إلّا أنّه يتوجّب الانتباه، لإرث عقود من أعمال العنف الأكثر دناءة. ومن الدّول الفقيرة جدًّا بسبب الغزو الأمريكيّ لـ"بنما"، لاسيّما مدينة "كولون"، فهي واحدة من أكثر المدن دمارًا على وجه الأرض لعدّة أسباب، العصابات، والفقر، وسوء الإدارة. لكن ما حدث، هو إزالة جميع الأدلّة المتعلّقة بالتّفجيرات والغزو الأمريكيّ. ومن الواضح جدًّا الفصل والعنصريّة اللّذان جلبتهما أمريكا لتلك البلاد. وفي الوقت الرّاهن، تجد الكثير من الأوروبيّين، لا يعرفون شيئًا عن السّلوك الأمريكيّ الفظّ في دول أمريكا اللّاتينيّة. هناك تعاون متزايد بين الدّول اليساريّة في أمريكا اللّاتينيّة.

تحدّث (تشومسكي) عن الغزو الأمريكيّ لبنما، وقال:"إنّه أسوأ من الغزو العراقيّ للكويت». ووفقًا لمنظمة "هيومن رايتس ووتش"، قتل العراقيّون في الكويت بضع مئات من الأشخاص، لكن في بنما ربمّا قتلوا بضعة آلاف. وأكّد تشومسكي على التّمييز والعنصريّة اللّذين تخلفهما الولايات المتّحدة الأمريكية حيث تدخل. السّكّان المحليّون في "هاييتي" و"تيمور الشّرقية"، على سبيل المثال، لا يعيشون كما يعيش الوافدون إليها، إنّهم يتضوّرون جوعًا، في حين يعيش الوافدون حياة مترفة، والأهمّ من ذلك هو تصفية من كان يقف بجانبها، ويعمل لصالحها لمجرّد الحياد عن طريقها.

كما حدث مع (مانويل نورييغا)[1]، (جورج شولتز)[2] وليس آخرهم (صدّام حسين)[3].

1 - مانويل نورييغا: الحاكم الفعليّ لبنما من عام 1983م – 1989م.
2 - جورج شولتز: وزير خارجيّة أمريكيّ سابق.
3 - صدّام حسين: رئيس عراقيّ سابق.

فقد كانت محاولة (نوريغا) بالاستقلال عن المخابرات المركزيّة، سببًا للغزو الأمريكيّ لـ"بنما". وتابع (تشومسكي) حديثه قائلاً: "إنّ أسوأ دولة في نصف الكرة الغربيّ الآن هي "هندوراس"، حيث أصبح العنف فيها خارج نطاق السَّيطرة تمامًا. وهناك دولتان شاركت فيهما الولايات المتّحدة بانقلابات عسكريّة، إذ جرّبوا انقلابًا في فنزويلا، لكنّه فشل؛ أمّا الثّاني فكان في "هاييتي"، حيث قامت الولايات المتّحدة وفرنسا، الجلّادان التقليديّان لـ"هاييتي"، بغزو واختطاف رئيس لم يعجبهم، وأرسلوه إلى أفريقيا الوسطى، وما زالوا يرفضون السّماح لحزبه بخوض الانتخابات. والثّالث كان في "هندوراس"، -في ظلّ إدارة (أوباما)- دعمت الانتخابات المزوّرة، الّتي أجرتها الدّكتاتوريّة العسكريّة الجديدة والفظائع المرتكبة، مثل قتل نشطاء حقوق الإنسان، والنّشطاء العماليّين، وعمليّات القتل على نطاق واسع، مزّقت البلاد إلى أشلاء، وبما أنها تحتوي على آخر قاعدة جويّة أمريكيّة رئيسيّة تدعم الاستثمار الأمريكيّ، فإنّ الفظائع مقبولة. من ناحيّة ثانية، هناك حرب المخدّرات والأسلحة، الّتي تنتشر بشكل ملحوظ في أمريكا اللاّتينيّة. حرب المخدّرات تخدم المصالح الأمريكيَّة فقط، ومعظم توريد الأسلحة الّتي تستخدم لذبح النّاس، يأتي من "أريزونا" و"تكساس". تريد دول أمريكا اللاّتينيّة الخروج من هذه الحرب الأمريكيَّة الّتي تدمّر مجتمعاتها.

■ الفصل السّابع: الشّرق الأوسط والرّبيع العربيّ

يقول (أندريه فلتشيك): "إنّ الشّيء الوحيد الّذي يجب التّحدّث عنه هو الشّرق الأوسط". والبداية برئيس الوزراء البريطانيّ (ونستون تشرشل) وتصريحاته حول الشّرق الأوسط، وتدخّله في المنطقة بعد الحرب العالميَّة الثّانية مباشرة. من أهمّ سياسات أمريكا في الشّرق الأوسط، هي دعم الإسلاميّين المتطرّفين، حيث دعمتهم في أفغانستان. كلّ الإسلام المتطرّف في جنوب شرق آسيا، مرتبط بطريقة أو بأخرى بالحرب في أفغانستان، لأنّها في الواقع هي المكان، الّذي أصبحت فيه الكوادر الإسلاميَّة متطرّفة، وتلقّنت عقائدها في ساحات القتال. وكانوا يقاتلون نيابة عن الغرب فدُفِعت لهم أموال غربية، وسلّحتهم واشنطن ولندن. قال (فلتشيك): "إنّ هناك شيئًا مفقودًا في ما يسمّى بـ"الرّبيع العربيّ"، وهو التّضامن بين الدّول العربيّة. وعند محاولة التّدخُّل في سورية، ظهرت الدّول المعاديّة لما يحدث في الوطن العربيّ، روسيا والصّين اللّتان استخدمتا حقّ الفيتو ضدّ تمرير أيّ قرار من شأنه دعم الاحتجاجات، وأعمال العنف الحاصلة في ذلك الحين. لزعزعة استقرار سورية من قبل الغرب.

حين سافر (فلتشيك) لمنطقة الشّمال السّوري، عرف أنّ المنطقة الحدوديّة بين تركيا وسورية، تضمّ لاجئين وقواعد عسكريّة، لتدريب المعارضة السّورية من قبل قوات النّاتو، وكانت حركة هؤلاء المسلّحين سلسة وموفّرة لهم فقط بين الدّولتين. كان مع (فلتشيك) فريق عمل من تركيا، كشف الوجه الحقيقيّ للمعارضة السّوريّة الّتي تلقّت التّدريبات العسكريّة على الأراضي التّركيّة. تركيا الحليف الثّاني للولايات المتّحدة الأمريكيّة، في الشّرق الأوسط بعد "اسرائيل". والكثير من الأتراك يصرّحون بشجاعة، أنّ حكومتهم غير مستعدّة لمواجهة "اسرائيل"، ولا تزال حليفًا وثيقًا جدًّا للولايات المتّحدة، الّتي تمتلك قواعد عسكريّة استراتيجيّة على الأراضي التّركيّة.

يصف (نعوم تشومسكي) (تشرشل) بأنّه بشع وعنصريّ، فقد كان يفضّل استخدام الغاز السّام ضدّ القرويّين. يضيف (تشومسكي) أيضًا، أنّه خلال الحرب العالميّة الثّانية، كان هناك نوع من الحرب الصّغيرة الدّائرة بين الولايات المتّحدة وبريطانيا، بشأن السّيطرة على المملكة العربيّة السّعوديّة. وكانت شركات النّفط الأمريكيّة، قد اكتشفت النّفط في المملكة العربيّة السّعوديّة في أواخر الثّلاثينيّات. تخوّفت حينها الولايات المتّحدة الأمريكيّة من خديعة البريطانيّين لها؛ لأنّ لديهم أصولاً وأشخاصًا في السّعوديّة. انتهى هذا الصّراع بسيطرة الولايات المتّحدة الأمريكيّة، من خلال إصدار الرّئيس الأمريكيّ (روزفلت)، مرسومًا رئاسيًّا يعلن المملكة العربيّة السّعوديّة، حليفًا ديمقراطيًّا ضدّ النّازيّة. بذلك تمكّنوا من شراء العائلة الحاكمة، بفضل شكرهم لكونهم ديمقراطيّة رائدة، تخوض الحرب ضدّ النّازيّين؛ لأنّها الدّولة الأكثر تطرّفًا في العالم. السّعوديّون يضخّون الأموال في كلّ مكان، لرعاية الأشكال الأكثر تطرّفًا من الإسلام السّياسيّ -الوهابية-، مثلاً في المدارس الدّينية في باكستان، وفي مصر لدعم السّلفيين، وجميع العناصر الإسلاميّة المتطرّفة، الولايات المتّحدة سعيدة بذلك، ولا تحاول منعها. أمّا بالنّسبة للانقلاب في إيران، حاول البريطانيّون تنفيذه، لكن لم ينجحوا لأنّهم كانوا بحاجة الدّعم الأمريكي. عرفت أمريكا أنّها إذا حوّلت أنشطتها النّفطيّة إلى إيران، ستثير غضب السّعوديّة، لذلك اكتفت بدعم بريطانيا مقابل 40% من الامتيازات الّتي تحقّقها هناك. يتحدّث (تشومسكي) بلهجة ساخرة قائلاً: «عندما تغزو الولايات المتّحدة الأمريكيّة بلدان المنطقة وتدمّرها، فهذا يسمّى "الاستقرار"، أمّا عندما يحاول أعداؤها -إيران- تعزيز العلاقات التّجارية والسّياسيّة مع دول المنطقة نفسها، فهذا ما يسمّى "زعزعة الاستقرار"، هذا هو التّهديد الّذي تمثّله إيران.» وفي العراق عام 1958م، كانت الحكومة تحت إدارة بريطانيا، حيث

تمكّنت الولايات المتّحدة، من تدبير انقلاب أطاح بالحكومة، وعيّنت (صدّام حسين) رئيسًا للبلاد.

تحدّث (تشومسكي) كثيراً عن "الرّبيع العربي"، لكن خلاصة ما ذكره، هو أنّ الإسلام السّياسيّ، المدعوم أمريكيًّا وبريطانيًّا وفرنسيًّا، والمموّل بشدّة من السّعودية، كان المسؤول الأوّل والأخير عن ما يسمّى "الرّبيع العربيّ" الّذي كانت بداياته في مصر وتونس. تلك الدّول هي صانعة المتطرّفين المتأسلمين. استطلاعات الرّأي الّتي أجرتها وكالات استطلاع غربيّة، في تلك البلاد خلال بدايات "الرّبيع العربيّ"، بيّنت أنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة و"اسرائيل" تشلّان الخطر والتّهديد الكبر بالنّسبة للسّكّان، ويفضّلون امتلاك إيران أسلحة نوويّة لموازنة القوّة الأمريكيَّة والقوّة الإسرائيليّة كعميل للولايات المتّحدة. وكانت النّتائج متشابهة جزئيًّا في جميع أنحاء العالم العربيّ. وكما كان واضحًا، دول النّفط لم يحدث فيها أيّ احتجاجات أو مظاهرات. حتّى بالنّسبة لسورية، حاولت الولايات المتّحدة وحلفاءها تمرير قرارات تهيّج الوضع أكثر، لكن وقوف الصّين وروسيا ضدّ أيّ قرار، أظهر موقفهما ممّا حدث. لقد دعمت قطر والسّعودية ما يسمّى بالجيش الحرّ، الّذي كان من الإسلاميّين المتطرّفين، لزعزعة أمن البلاد، وكان ذلك بموافقة أمريكيّة واضحة.

في نهاية الحوار وجّه (فلتشيك) سؤالاً (لنعومي تشومسكي)، هل ستعود "إسرائيل" إلى رشدها، وتعطي الأراضي للفلسطينيّين في نهاية المطاف؟ أجاب (تشومسكي): "لا، إسرائيل لن تفعل أيّ شيء، طالما أنّ الولايات المتّحدة تدعمها وتساندها". فهي تستولي على أجزاء قيّمة من الضّفة الغربيّة، وتترك الباقي على شكل كانتونات، أمّا غزّة تحت حصار مشدّد؛ كلّ يوم هناك جريمة جديدة، فالجيش الإسرائيليّ يحمي المستوطنين لضرب الفلسطينيّين، وتشويه بيوتهم وقلب أكشاك الفاكهة، واقتلاع أشجار الزّيتون". قال (فلتشيك): "المستوطنون الاسرائيليّون يعيشون حياة فاخرة، تفصلهم الجدران الهائلة والأسياج الشّائكة، عن المدن الفلسطينيّة ولا يرون أيّ شيء من الظّلم الّذي يعيشه الفلسطينيّون.".

■ الفصل الثّامن: الأمل في أكثر الأماكن دمارًا على وجه الأرض

بدأ (أندريه فلتشيك) الحديث حول الأمل في أن تتغيّر الأمور في أفريقيا، كما تغيّرت في أماكن أخرى من أميركا اللاّتينيّة. لكن ربما تكون أفريقيا حاليًّا هي المكان الأكثر دمارًا على

وجــه الأرض. يبدو أنّ هناك توطيدًا للقوّة الاســتعماريّة هناك، وغالباً مــا ينفّذ الوكلاء -جيوش المرتزقــة- الفظائــع والجرائم. من ناحيّة ثانية، تحدّث (فلتشــيك) عن الــدَّور الفرنسيّ. أكّد أنّ الفرنسيّين يحتفظون بجنودهم في كلّ مكان: مثل الفيلق الفرنسيّ في جيبوتي. كانوا عبر التّاريخ وحشــيّين للغاية. كان هناك مرتزقة فرنسيّون في جيبوتي يتدرّبون على العمليّات في جميع أنحاء القارّة. وفي ليبيا، يجب إدراك الدَّور القوّي الّذي يمكن لفرنسا أن تلعبه مرة أخرى، قوّيّة ومدمرة للغاية للشّعب الأفريقيّ. أمّا الصّومال، كلّ ما يحدث فيها وما حولها أمر فظيع. الغرب لديه دولة خاصّة به، جيبوتي، الّتي تحوّلت إلى نوع من القواعد العســكريّة الأمريكيّة والفرنســيّة، حوّلت صحراءها إلى مناطق تدريب للجيوش الفرنسيّة. إنّها مكان مروّع ومفرط في العسكرة! إنّها ملوّثة وعدوانيّة وخاضعة.

يقول (تشسومسكي) أفريقيا هي المكان الأكثر تدميراً لأنّها غنيّة بالموارد. مباشرةً بعد الحرب العالميَّــة الثَّانيــة، كانت أمريكا بموقع القوّة السّــاحقة، لذلك خطّطت لتنظيــم النّظام العالميّ. خصّصت لكلّ منطقة من العالم ما أســمته "وظيفتها". لذلك، على ســبيل المثال، كانت وظيفة جنوب شرق آسيا هي توفير الموادّ الخامّ والموارد لإعادة إعمار الدّول الّتي كانت مستعمَرة. أمّا بالنّسبة لأفريقيا، ســلمتها للأوروبيّين لاستغلالها، وحتّى يعيدوا بناءها. بعدها أعادت الولايات المتّحــدة التّفكير في هذا الأمر، وقالت إنّها يجب أن تســتغلّ أفريقيا أيضًا. لذا، بدأت الولايات المتّحدة في التّحرك نحو أفريقيا، لتحصل على الكثير من النّفط من هناك، واليورانيوم والمعادن الأخــرى. لذا، لم يعد الأمــر متروكًا للأوروبيّين فقط لاســتغلاله. والقضيّة المثيرة للاهتمام هي قضيّة الصّحراء الغربيّة، آخر مستعمرة رسميّة في أفريقيا. غزاها المغرب 1975م، كوكيل فرنسيّ. وهناك بدأ "الرّبيع العربيّ"، قبل تونس. لكن القوّات المغربيّة أوقفت الاحتجاجات وقضت عليها بدعم من الولايات المتّحدة.

■ الفصل التّاسع: تراجع قوّة الولايات المتّحدة.

بدأ (فلتشــيك) الحديث بــأنّ الولايات المتّحدة وأوروبا هما، الإمبراطوريّــة الّتي تعزز قوّتها في جميع أنحاء العالم. ولا تزال بعض جيوب المقاومة موجودة مثل أمريكا اللاتينية، والصّين، وحتّــى إيران. وفيما يتعلّق بالوضع في جنوب شرق آســيا بعد الحــرب العالميَّة الثَّانية، حاولت

الولايات المتّحدة السَّيطرة على أندونيسيا بسبب قلقها من الشّيوعية، ونتيجة هذا القلق، حدثت مجزرة ومذبحة بحقّ الشّيوعيّين والاندونيسيّين من أصل صينيّ- الّذين كانوا أقليّة-، ليصل عدد القتلى لـ 3 ملايين شخص. لقد تراجعت قوّة الولايات المتّحدة الأمريكيَّة، لكنّها لا زالت قادرة على الإطاحة بحكومات، مثلما فعلت حينما أطاحت بالحكومات اليساريّة في أميركا اللاّتينيّة، في هندوراس وباراغواي. وفي نهاية الحديث، أراد (فلتشيك) التّذكير بالرّأي الغربيّ الدَّاخليّ، إنّهم محبطون تماماً من نظامهم السّياسيّ والاجتماعيّ. إنّهم لا يحبون أيّاً من الأحزاب السّياسيّة. والدّيمقراطيّة هناك هي فقط الّتي تخدم مصالح الحكّام، حتّى في الانتخابات.

قال (تشومسكي): "إنّ ذروة قوّة الولايات المتّحدة كانت في الأربعينيّات. كانت تمتلك نصف ثروة العالم، وموقعاً أمنيًّا قويًّا، وكانت تسيطر على نصف الكرة الأرضيّة. ثمّ بدأت بالتّراجع كان استقلال الصّين في عام 1949م بمثابة ضربة كبيرة، حيث كانت الصّين تعتبر جزءاً مهمّاً من النّظام العالميّ، الّذي كانت الولايات المتّحدة تحاول إعادة تشكيله. وبعدها دار الحديث كثيراً عن سبب خسارة الصّين، وأثار ذلك على الفور مخاوف جدّيّة، بشأن الخسارة المحتملة لجنوب شرق آسيا، وذلك عندما تحوّلت سياسة الولايات المتّحدة نحو جنوب شرق آسيا. بحلول أواخر الأربعينيّات، دعمت أمريكا الغزو الفرنسيّ. وفي فترة ما بعد الحرب العالميَّة الثَّانية، نفّذ الرَّئيس الأمريكيَّة حينها، (آيزنهاور)، أكبر تدخّل من خلال محاولة فصل الجزر الخارجيَّة لأندونيسيا، حيث توجد معظم الموارد الطّبيعيّة، لوضعها تحت السَّيطرة الأمريكيَّة.

لكنّ التدخُّل الأمريكيّ فشل، وكان هناك قلق أمريكيّ من الحكم الأندونيسيّ آنذاك، لأنّه سمح للشّيوعيّين بالمشاركة السّياسيّة. اللاّفت للنّظر هو ردّ الفعل الغربيّ الدَّاخليّ على حمّام الدّم، الّذي راح ضحيّته 3 ملايين شخص في اندونيسيا، حيث وصفه أحد اللّيبراليين البارزين «ببصيص الضّوء القادم من آسيا». مع ذلك، كانت قوة الولايات المتّحدة تتراجع، وبحلول عام 1970م، انخفضت حصّة الولايات المتّحدة من الثّروة العالميَّة إلى حوالي 25%، وهي نسبة هائلة لكنّها ليست 50%، كما كانت في عام 1945م. كان العالم يعتبر ثلاثي الأقطاب اقتصاديًّا، في أوروبا (متمركّز في ألمانيا الغربيّة)، وفي أمريكا الشّماليّة (الولايات المتّحدة بشكل رئيسيّ)، وشرق آسيا (متمركّز حول اليابان) - وكانت آخر المراكز الثّلاثة بالفعل هي المنطقة الاقتصاديّة الأكثر ديناميكيّة في العالم. ومنذ ذلك الحين تراجعت الولايات المتّحدة أكثر. أمّا بالنسبة لـ"الرّبيع

العربيّ" فقد شكّل مصدر قلق آخر، لو أنّه تحرّك فعليّاً نحو تطوير نوعًا ما، من الدّيمقراطيّات العاملة في المنطقة، فإنّ الولايات المتّحدة وحلفاءها سوف يواجهون مشكلة حقيقيّة. من الواضح أنّ الرّأي العامّ في العالم العربيّ يعارض بشدّة الولايات المتّحدة وحلفاءها، لذلك كانت هناك جهود كبيرة للغاية لإبقاء الدّيمقراطيّة في المنطقة تحت السَّيطرة. ولا تزال قوّة الولايات المتّحدة ساحقة ولا تواجه أيّ تحدّيات تذكر، لكنّها آخذة في التّراجع. لا يمكن الآن القيام بأشياء اعتادوا القيام بها سابقًا. لا يمكنهم الإطاحة بالحكومات في أمريكا اللّاتينيّة فحسب، إنّهم لا يملكون القوّة العسكريّة اللّازمة للتّدخّل في أماكن أخرى، في الشّرق الأوسط وما إلى ذلك. وبالنّسبة للانتخابات والدّيمقراطيّة الدّاخليّة، هناك مقولة شهيرة: "إذا غيّرَ التّصويت أيّ شيء، فسيجعلونه غير قانونيّ".

في ختام الحديث، ذكر (فلتشيك) باختصار: "تمّ تناول الجرائم ضدّ الإنسانيّة، الّتي ارتكبتها الولايات المتّحدة، وأوروبا، وحلفاؤها بعد الحرب العالميَّة الثّانية. الوضع مقلق للغاية. هناك حملات إبادة جماعيّة تجري في الكونغو وبابوا. يتمّ غزو دول بأكملها، كالصّومال والسّودان وأوغندا وليبيا وأفغانستان. وهناك خطر جدّيّ من أن تكون بعض الدّول مثل سوريا وإيران، هي الدّولة التّالية على قائمة المستهدفين. وكثيراً ما يقوم الغرب باختلاق الصّراعات، فيدفع البلدان إلى المواجهة كما شهدت مؤخّراً في الفلبّين. لقد ابتعدت الحرب عن نموذج القتال بين رجل لرجل، بل تهيّمن الصّواريخ الفتّاكة، وحملات القصف، وأحدث الأسلحة الرّهيبة، الطّائرات بدون طيّار، الّتي تعتبر مرادفة للإرهاب والإفلات المطلق من العقاب - فهي تقتل دون أن تضطر الدّولة الغازية إلى المخاطرة بجنودها." كان ردّ (نعوم تشومسكي) بأنّ "العالم أمام خيارين: إمّا نحو الانتحار، وإمّا نحو المعارضة المتزايدة. إمّا الاستسلام أو المحاولة الّتي ربمّا تنجح".

عندما يكون الحديث عن تاريخ الولايات المتّحدة الأمريكيَّة، جرائمها، وتدخّلها، وسيطرتها، وقصفها، وبلطجتها، لن يكون له نهاية. يجب السّعي دائماً لتسليط الضّوء على الآراء، والمواقف، والأعمال المناهضة لتلك القوّة المتعجرفة، حتّى تتمكّن فئة واسعة من المجتمع العربيّ، الإطّلاع على تاريخ أسود من الإجرام. وكما يُقال، ما خفيَ كان أعظم.